المحاضرة 15 دروس أدب جزائري الأستاذة بختة عزوزي.

عنوان المحاضرة: نجمة لكاتب ياسين/ الأجواد لعبد القادر علولة.

مقدمة:

يتميز الأدب الجزائري الحديث عن بقية آداب اللغة العربية في العالم العربي بخاصيّة منفردة قلما نجدها تجتمع في الآداب العربية قديما وحديثا، ويتمثل ذلك التمايز في جملة من الخصائص المركبة المعقدة، أنبتتها سيرورة تاريخية لا مناص منها، تداخلت في تشكيل الأدب الجزائري على مر العصور ثلاثة عناصر: العنصر المحلي، العنصر العربي، العنصر اللاتيني الفرنسي، و انصهرت العناصر الثلاثة لغة وحضارة عبر التاريخ، ثم لبست حلة عربية في مرحلة استرداد السيادة الوطنية في الربع الأخير من القرن العشرين.

وفي المرحلة الاستعمارية تم فرض حصار لغوي على اللغة العربية وهذا ما دفع بالروائيين الجزائريين إلى التعبير باللغة الفرنسية للتعبير عن ذواتهم ومعالجة بعض قضايا المجتمع" فكانت اللغة الفرنسية سبيلهم لمحادثة هذا الطرف في ظل الظروف التي فرضها هذا المستعمر على اللغة العربية بصفتها اللغة الأم، ولأن اللغة تعتبر الجزء الأهم من مقومات هوية الأمة فقد استعملت فرنسا جميع الأساليب للقضاء على اللغة العربية، فقد كان غزو فرنسا للجزائر غزوا شاملا"

1/ نجمة لكاتب ياسين:

وتعدّ رواية نجمة من أبرز الأعمال الأدبية في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، حيث صدرت سنة 1956م على يد الكاتب كاتب ياسين، الذي جعل من الأدب سلاحا لمواجهة الاستعمار والتعبير عن هموم الإنسان الجزائري، من خلال شخصية نجمة يجسّد الكاتب صورة الجزائر الممزقة بين حب أبنائها نصا ثريّا من حيث الموضوع والأسلوب، إذ تجمع بين الواقعية والرمزية، وتفتح المجال أمام القارئ للتأمل في قضايا الحرية، الانتماء، الذاكرة الجماعية.

* **التعريف بالمؤلف:** (1929م، 1989م) ولد كاتب ياسين في 26/ أوت/ 1929م في كوندة سماندو باسم مخيم سماندوا (زيغود يوسف نفسه) التابعة لقسنطينة عاش في عائلة تتسم بطابع العلم، اسمه الحقيقي محمد خلوطي، أنهى مزاولته للنشاط الدراسي خلال مرحلة الثانوية، بعدها أوقفته السلطات الاستعمارية أيام 8 ماي 1945م ليودع السجن.

بعد إطلاق سراحه من السجن، سافر إلى فرنسا عدة مرات وعمل صحفيا في صحيفة الجزائر الجمهورية.

عرفت سنة 1950م وفاة والده ليتحمل فيما بعد أعباء العائلة، فألزمه الواقع ترك عمل الصحافة حيث عاش بطالة قاسية، فرضتها عليه الظروف المعيشة.

المحاضرة 15 دروس أدب جزائري الأستاذة بختة عزوزي.

كان كاتب ياسين مرآة عاكسة لمجتمعه، عكس من خلال مطالب هذا الشعب الأبي، حيث جاهد بقلمه لتحرير الفكروالوطن من قيود المستعمر، وهو يعدّ من أكبرأدباء عصره، كتب باللغة الفرنسية وعرفته الأوساط الأدبية والعالمية بالعديد من الروايات والمسرحيات.

في سنة 1954م كرس جل وقته للإبداع والإنتاج الأدبي فأخرج روائع عديدة منها:

- رواية نجمة التي صدرت عام 1956م.
- قصيدة نجمة أو السكين.
- الجثة المطوقة وهي مسرحية.
- الأجداد يزدادون ضراوة.

ومن ضمن هاته الأعمال رواية نجمة التي نال بها مراتب النجومية في الأوساط العالمية والعربية، نجمة التي بحث فيها عن الوطن الأم مشخصا إياه في صورة امرأة يسميها نجمة، وتصبح الجزائر حقيقة مجسدة، وتكون بذلك روح البلاد التي تسري والحادثة التي أثرت تأثيرا بالغا على أعمال كاتب ياسين هي مذابح سطيف، فمثلت نجمة روح الجزائر الممزقة.

*** ملخص رواية نجمة:**

رشيد، الأخضر، مصطفى، أصدقاء أربعة يعيشون في عنابة شغلهم الحب الذي يحمله الأربعة لامرأة واحدة هي نجمة زوجة كمال، يحيط منشأ نجمة وأصلها سردفين يكتشف لكل منهم تدريجيا عن طريق الآخرين.

وعندما يكتشفون السر تبدو صاحبته أشد استعصاء عليهم، لقد ألقيت وهي طفلة إلى رعاية أم بالتبني، هي لالة فاطمة مع أنها في الحقيقة ابنة امرأة فرنسية، اختطفها عشاق أربعة على التوالي كان من أبرزهم أبو رشيد وسي مختار.

لقد بدأت حياتها في أحشاء أمها ذات ليلة قضاها هذان الرجلان معها في مغارة اقتادها إليها معا، ثم عثر في صباح اليوم التالي على جثة أبي رشيد في المغارة ذاتها....ويتابع رشيد سي مختار في حله وترحاله، ولكنه لم يشأ أن يقتل الرجل الذي يظن أنه قاتل أبيه، لأن رغبة ملحة كانت تلاحقه ليتعرف إلى حقيقة نجمة، التي رآها سرا لأول مرة في أحد المشافي بتدبير من سي مختار نفسه.

ربما كانت نجمة أخته أو ابنة سي مختار على السواء....من يدري؟

وتنمو بين الرجلين خلال أيّام أواصر صداقة أشبه ما تكون بعلاقة الأب بابنه.

*** الدلالات الرمزية لرواية نجمة:** تدور الدلالات الرمزية للرواية حول جملة من القضايا المرتبطة بتلك الحقبة الزمنية وهي ما يلي:

المحاضرة 15 دروس أدب جزائري الأستاذة بختة عزوزي.

*نجمة كرمز للوطن والأنوثة: في الرواية يتداخل حضور المرأة والوطن في صورة رمزية واحدة، حيث تتحول المرأة إلى مرآة للأرض الجزائرية المستباحة والمقهورة تحت الاستعمار، بينما الوطن يجسد في معاناتها وحرمانه من الحرية فنجمة ليست مجرد شخصية أنثوية، بل هي رمز للأرض المغتصبة التي تتوزعها الأطماع ويُصارع عليها الرجال كما يصارع المستعمر على الجزائر.

وتعدّ شخصية صالمبو المستحضرة في الرواية امتدادا لهذه الرمزية حيث "...كانت صلامبو فقدت عذريتها فقدت ثيبا وعاشت أطوار مأساتها" إذ تجسد المرأة التي تحمل تاريخا من القهر والحرمان، فهي ضحية مجتمع أبوي من جهة وضحية الاستعمار من جهة أخرى، فقدانها لعذريتها لم يقدم كحادثة شخصية فحسب، بل كرمز لانتهاك شرف الوطن ذاته، وكشف للجرح العميق الذي يعيشه الشعب الجزائري، لقد عاشت مأساتها بين الانكسار والخذلان، فبدت في الرواية أسيرة قدر لا تختاره، محكومة بذاكرة جماعية مليئة بالعنف والاغتصاب والاستلاب.

* الاحتلال والاستعمار الفرنسي: الاحتلال في رواية نجمة حاضر مجرح عميق يشكّل خلفية كل الأحداث، فهو ليس مجرد سياق تاريخي بل قوة طاغية تمزق حياة الشخصيات وتفتت كيان الوطن، والاستعمار يظهر في النص كفعل اغتصاب للأرض والهوية، جاء في الرواية " ...قسنطينة وبونة المدينتان اللتان كانتا تهيمنان على نوميديا القديمة التي حولت اليوم إلى مقاطعة فرنسية.....ورحان تصارعان من أجل قوة النوميديين المستسلمة، كانت قسنطينة تقاوم من أجل سيرتا، وبونة من أجل عنابة ، كأن مراهنة الماضي المجمد في جزء يبدو ضائعا، تمثل البلاء الوحيد للأبطال القادمين: يكفي إعادة الأجداد إلى الأمام لاكتشاف حلقة الانتصار، مفتاح النصر الذي منع على يوغرطة، البذرة الدائمة للأمة الممزقة بين محيطين، من أعلى باب قوس النصر....."

* المقاومة والنضال: "...كان أولئك الأبناء يجهلون قيمة ذلك المال، ولم يكونوا يستطيعون تقدير الكنوز التي سلمت من النهب، أمّا الآباء الذين قتلوا في أثناء المعركة التي قادها الأمير عبد القادر، وهو الظل الوحيد الذي كان بإمكانه ان ينسحب فيغمر هذه الأرض الشاسعة، إذ كان رجل السيف والقلم، الزعيم الوحيد القادر على لمّ شتات القبائل لترتفع إلى مستوى الأمة....."

وجاء في الرواية" كان جد أب مراد مقاتلا تحت لواء الأمير عبد القادر، فعرض بنفسه وبممتلكاته لانتقام بوجو الذي عمد إلى توزيع أخصب الأراضي على المعمرين الذين أقبلوا من أوربا دونما توان، أمال المال فقد بدده سيدي أحمد الذي كان يهوى رقص الشارلستون وتعدد الزوجات"

المحاضرة 15 دروس أدب جزائري الأستاذة بختة عزوزي.

*البحث عن الهوية: تعدّ من أبرز القضايا المحورية التي تتجلى من خلال الشخصيات والأحداث واللغة ذاتها، فالكاتب لا يطرح الهوية كمعطى ثابت بل كصراع وجودي يعيش بين الأرض والذاكرة والمستعمر، والمقطع السردي التالي يبين ذلك" أخذت زوجة قابض البريد زجاجة الروم نصف فارغة وألصقتها بشفتي الخادمة، وهلل المحضر: أية نكتة سنفوت عليها جنتها قبل موتها، تصلبت الخادمة، وضربتها زوجة البريد فسال كل شيء دفعة واحدة، كان ثمانية رجال يشدون بقوة وثاق الخادمة...سقطت الخادمة ثم انتصبت وعيناها جاحظتان، كانت تلك أول لعنة وآخرها "أنتم الكفار"

قفز السيد من سريره

اذهبي من هنا، اخرجي حالا"

* البنية الفنية للرواية:

- أسلوب السرد: فهي تتميز ببنية سردية مبتكرة تجمع بين النثر والشعر، وتدمج الواقعي بالمتخيل، مع بنية زمنية معقدة تجمع بين الماضي والحاضر، واستشراف المستقبل في وحدة واحدة، يعتمد الأسلوب على لغة راقية، تميل إلى الشعرية، وتتجنب الواقعية المباشرة، كما تتميز الرواية بتداخل الأنواع الأدبية.
- جمالية اللغة: حملت لغة الرواية ثراءً لغويا وجماليات أسلوبية خاصة، إذ تتجلى فيها تجربة الكاتب مع اللغة كأداة فنية وكوسيلة مقاومة ثقافية، فهي لغة هجينة تنبع من تلاقح الثقافات، إذ يكتب المؤلف بالفرنسية لكن يشحنها بروح عربية وأمازيغية، فيخلق بذلك لغة ثالثة ذات هوية مقاومة، يغلب النص الطابع الشعري خصوصا في المترجمة إلى العربية حيث ورد فيها" أنا اليتيم منذ أمد بعيد على أن انبعث حيّا من أجل صالمبو من سلالتي، من أجل أن يضحي بي تضحية غامضة، كان علي أن أعيد الكرة فأحاول دوما نفس اللعبة التي خسرتها مرات كثيرة، حتى أتحمل نهاية الكارثة، وأضيع صالمبو فتاتي و انسحب عند ذلك و انسحب عند ذلك من اللعبة و أنا على يقين من أنني شربت كأس المرارة حتى الثمالة لأخفف العبء عن المجهول الذي سيخلفني..."

*القضايا الأساسية في الرواية: تتمحور القضايا الأساسية في رواية نجمة لكاتب ياسين حول جملة من القضايا وهي كما يلي:

- الهوية الجزائرية: الدفاع عن الأرض واللغة والثقافة.
- معاناة الشعب تحت الاستعمار: القهر، التشتت، فقدان الذات.

المحاضرة 15 دروس أدب جزائري الأستاذة بختة عزوزي.

- **المرأة كرمز: ليست مجرد شخصية، بل تجسيد للوطن.**
- **الوحدة الوطنية: تلميح إلى ضرورة اتحاد مختلف الطبقات لتحقيق الاستقلال.**
- **استنطاق الوعي الشعبي:**

*** القيمة الأدبية للرواية:** تعدّ رواية نجمة من أهم الروايات المغاربية المكتوبة باللغة الفرنسية/ والتي " اعتبرها الكثيرمن المثقفين والقراء على حد سواء مؤلفا عبقريا كتبه كاتب ياسين في سن العشرين، وفتح الباب لأدب جزائري حداثي، انتقل بجيل كامل إلى مستوى آخر اتسم بالجرأة والثورة، مدافعا عن الحرية الفكرية والأدبية والإنسانية خاصّة"

وعليه؛ رواية نجمة ليست مجرد قصة حب، بل صرخة وطنية في وجه الاستعمار، ومن خلال شخصية نجمة عبّر كاتب ياسين عن حلم الجزائرفي التحرروعن معاناة شعب مقسّم، ليجعل من الأدب أداة مقاومة.

2/ عبد القادرعلولة – الأجواد-

يعدّ المسرح من الفنون الأدبية الأكثر التصاقا بالمجتمع، وهو الناطق الرسمي على لسانهم ومترجم لمختلف القضايا التي يعاني منها الفرد، والمسرح يحضن ويرسخ الأفكاربوعي الجمهور، بفضل المشاهد والعرض الذي يحركه ويجسده الممثلون على خشبة المسرح، ولقد شهد ظهورالمسرح في الجزائرتأخرا مقارنة بالأقطارالعربية الأخرى، نتيجة الظروف التي كانت تعاني منها الجزائر، **وشهد المسرح الجزائري رحلة مخاض طويلة، بدأت من الأشكال الاحتفالية الشعبية ومرت بمرحلة النضال ضد المستعمر**، ليتشكل كأداة مقاومة و إثبات هوية، ومع فجر الاستقلال، برزت الحاجة الماسة لتأسيس مسرح وطني يقطع مع القوالب الغريبة الجاهزة ويبحث عن ذاته في العمق الشعبي، وفي هذا السياق، برزاسم عبد القادرعلولة كأحد أهم رواد الحداثة المسرحية، وتعدّ مسرحية الأجواد الثمرة الناضجة لهذا التوجه.

1/ التعريف بالكاتب: عبد القادرعلولة (1939م- 1994) في 8جويلية 1939م يولد فقيد المسرح عبد القادرعلولة بمدينة الغزوات (نمورسابقا)، ثم يتردد إلى المدرسة الأساسية بعين البرد (واد أمبارسابقا) ليواصل تعليمه الثانوي لغاية السنة الثانية ثانوي، ببلعباس ثم وهران.

وفي عام 1956م يتوقف علولة عن الدراسة ويمارس المسرح كهاو بنفس السنة مع الفرقة المسرحية الشباب بوهران، ومن 1956م إلى 1960 م يشارك في عدة تربصات تكوينية ويمثل – مغرمين بالمال- لمحمد تواتي ، ثم رجوع السعادة وخدة شريفة وخضر اليّدين لمحمد كرشاي، كما يشارك أيضا في دورات تكوينية في الفن المسرحي لا سيما في المركز الجامعي للدراسات المسرحية بنانسي، وكذلك في جامعة السربون، وفي عام 1962م يقوم بإخراج مسرحية

الأسرى للمؤلف الروماني بلوت في إطار فرقة المجموعة المسرحية الوهرانية، وفي عام 1963م يتم توظيف علولة كممثل في المسرح الوطني الجزائري، بعد تأميم هذا الأخير.

وقد مثّل أدورًا في:

- 1963م: " أبناء القصبة" لعبد الحليم رايس ومصطفى كاتب ، " حسن طيرو" لرويشد، ومصطفى كاتب ، " الحياة والحلم" (كالديرون) لمصطفى كاتب،" القسم" لعبد الحليم رايس وطه العامري، "دون جوان" (موليير) لمصطفى كاتب.
- 1964م : " ورود حمراء لي" (سين أوكاسي) لعلال المحب، " ترويض النمرة" (شكسبير) لعلال المحب.
- 1965م:" الكلاب" (توم برولين) لحاج عمر.

وكما قام بإخراج:

- 1964م: الغولة لرويشد.
- 1965م: " السلطان الجائر" لتوفيق الحكيم.
- 1967م: " نقود من ذهب" وهي اقتباس من التراث الصيني القديم.
- 1968م: " نومانس" اقتباس حيمود براهيمي ومحبوب سلطاني.
- 1982م " الدهاليز" لماكسيم غوركي ترجمة محمد بوقاسي.

وألف وأخرج:

- 1969م: " العلق"
- 1970م: " الخبزة"
- 1972م: " حمق سليم" وهو اقتباس حر من يومية مجنون لنيكولاس غوغول.
- 1975م: " حوت ياكل حوت" ألفها مع بن محمد.
- 1980: " الأقوال.
- 1984م: الأجواد.
- 1989م: " اللثام".
- 1992م: " التفاح" ألفها لفرقة المثلث وأخرجها زروقي بوخاري.
- 1993م: « آرلوكان خادم السيدين".

وفي 1990م اقتبس للتلفزة الجزائرية خمس قصص للكاتب التركي عزيز نسين" ليلى مع مجنون"، " السلطان والغربان"، " الوسام"، " الشعب فاق"، و" الواجب الوطني"، أخرجها للتلفزيون بشير بريشي.

وقد كتب سيناريوهن: أخرجهما للتلفزيون الجزائري محمد إفتسان:

- 1972م " غورين"
- 1980م" جلطي"

ومثّل في الأفلام التالية:

- 1969م: " الكلاب" للمخرج الهاشمي شريف.
- 1971م: " الطارفة" للمخرج الهاشمي شريف.
- 1989م: " تلمسان" للمخرج محمد بوعمّاري.
- 1990م: " جنان بورزق" للمخرج عبد الكريم بابا عيسى.
- 1990م: "حسان نية" للمخرج غوتي بن ددّش.

ولقد كان علولة بصدد كتابة مسرحية جديدة بعنوان" العملاق"، ولكن رصاص الغدر أوقف هذا السيل الإبداعي الهائل مساء يوم الخميس 10 مارس 1994م، إذ جعل عبد القادر علولة قرابة أربعين عاما وقفا على المسرح، فلأنه كان يؤمن بالإنسان، الإنسان كما قال على لسان إحدى شخصياته " حامل معاه محيط بحر واسع من الطاقات و..... ومهما كانت الظروف ولو هبط إلى أسفل الوجود قادر يوجد فتحة .... يوجد حل ويصعد من جديد ..... قادر يصبح لا يؤخذ" مقتنعا بقدرات الشعب الجزائري؛ عمل على استخراج المادة الإبداعية الخام من مجتمعه.

2/ دراسة في مسرحية الأجواد:

لقد اعتمد المؤلف من خلال مسرحيته على نماذج حيّة لمعاناة الشعب الجزائري، في ظل الأنظمة السياسية الفاسد ذات الطابع الاستبدادي الديكتاتوري، ويقول في تقديمه للمسرحية" فيما يتعلق بعنوان الأجواد، إنه يعني الأولي والحرفي في الكرماء، فهو يخص بالنسبة إلى حد ما، الفكرة المركزية، أي جوهر المسرحية هذه الأخيرة هي عبارة عن جدارية الحياة اليومية أو بالأحرى بعض اللحظات من حياة الجماهير الكادحة، والناس البسطاء، إنها مناظر إنسانية نصادفها كل يوم، تحكي هذه الجدارية وتكشف بدقة كيف يتصف هؤلاء الناس المغمورون والبسطاء و(المحقرون)، والذين لا نكاد نلحظ بالجود، وكيف يتكلفون ، بتفاؤل كبير و بإنسانية متأصلة، طبعا ضمن حدودهم، أما فيما يخص البناء العام فإن المسرحية تضم ثلاثة مواضيع درامية تستقطعها أربع أغنيات، ويستقل كل عنصر من عناصر المسرحية بذاته من حيث الموضوع، في حين يرتبط بما يمكن أن نسميه: (العناصر الأساسية للمضمون) عن طريق أنصال خلفية"

الشخصيات الرئيسية: الربوحي، الحبيب، المنور، وجلول الفهايمي).

الشخصيات الثانوية: علال الزبال، منصور، قدور، سكينة.

ويبرز الصراع كعمود فقري في أحداث المسرحية، ويتجلى من خلال معاناة قدور، الذي يعمل بناء بعيدا عن عائلته وهو يقطن منزل مهدد بالانهيار، ويبرز من خلال المقطع التالي:

" أبنى وعلا، كب جهده في البغلي والياجور.

ترك بالجمعة الشانطي قاصد لداره يزوره.

وحش المرأة والأولاد ثقيل في صدره كالكور.

في خاطره طعيمة وحنان مرته فطيمة.

قال: نشوف أولادي نمحي التعب نفاجي الغمة .

نغطس في الجو الأهلي نشرب جغيمة.

طالت المسافة نسف طويل ما قال كلمة"

ويتجلى الصراع كذلك مع شخصية جلول الفهايمي.

وفي ختام الأجواد ندرك أن عبد القادر علولة لم يرحل بنا نحو الماضي استلابا، بل استلهمه ليصنع مسرحا للمستقبل.

مراجع المحاضرة:

نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير صراع اللغة والهوية، مجلة المخبر، أرجاء في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 7، 2011م، ص 222.

- كاتب ياسين، نجمة، رجمة، محمد قوبعة، ديوان المطبوعات الجامعية، 1987م، ص 184

سلمى قريدر، كاتب ياسين المربك الأبدي في الذكرى الثلاثين، ثقافة وفنون، على الموقع الالكتروني:

https://ultraalgeria.ultrasawt.com يوم 9نوفمبر 2019م، تم الاطلاع عليه يوم 20نوفمبر 2023م.

علولة رحاب: ترجمة النص المسرحي ومستويات اللغة عند عبد القادر علولة ، رسالة ماجيستر، جامعة وهران، السانية، 2012/ 2013م.

ججيقة بسوف: حضور التراث في مسرحية الأجواد لعبد القادر علولة، مجلة القارئ للدراسات الأدبية واللغوية والنتقديو، المجلد5، العدد 2، جوان 2022، ص 146- 157.